الدرس التاسع

التعليق على كتاب الأمثال لابن القيم

الشيخ مشهور بن حسن –حفظه الله-.

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

قال المؤلف –رحمه الله– : ((**تمثيل اعمال الكافرين بالسراب، ومنها قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) ذكر سبحانه للكافرين مثلين مثلا بالسراب ومثلا بالظلمات المتراكمة وذلك لأن المعرضين عن الهدى والحق نوعان أحدهما من يظن أنه على شيء فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه وهذه حال أهل الجهل وأهل البدع والأهواء الذين يظنون أنهم على هدى وعلم فإذا انكشفت الحقائق تبين لهم أنهم لم يكونوا على شيء وأن عقائدهم وأعمالهم التي ترتبت عليها كانت كسراب يرى في أعين الناظرين ماء**

ولا حقيقة له وهكذا الأعمال التي لغير الله عز وجل وعلى غير أمره يحسبها العامل نافعة له وليست كذلك وهذه هي الأعمال التي قال الله عز وجل فيها: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)، وتأمل جعل الله سبحانه السراب بالقيعة وهي الأرض الخالية القفر من البناء والشجر والنبات والعالم فمحل السراب أرض قفر لا شيء بها والسراب لا حقيقة له وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الإيمان والهدى، وتأمل ما تحت قوله (يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً والظمآن) الذي اشتد عطشه فرأى السراب فظنه ماء فتبعه فلم يجده شيئا بل خانه أحوج ما كان إليه فكذلك هؤلاء لما كانت أعمالهم على غير طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام ولغير الله جعلت كالسراب فرفعت لهم أظمأ ما كانوا إليها فلم يجدوا شيئا ووجدوا الله سبحانه ثم فجازاهم بأعمالهم ووفاهم حسابهم، وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي يوم القيامة (ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها السراب فيقال لليهود وما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال: كذبتم ما كان لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: أن تسقينا فيقال لهم: اشربوا فيتساقطون، وذكر الحديث وهذه حال كل صاحب باطل فإنه يخونه باطله أحوج ما كان إليه فإن الباطل لا حقيقة له وهو كاسمه باطل فإذا كان الاعتقاد غير مطابق ولا حق كان متعلقة باطلا وكذلك إذا كانت غاية العمل باطلة كالعمل لغير الله عز وجل أو على غير أمره بطل العمل ببطلان غايته وتضرر

عامله ببطلانه وبحصول ضد ما كان يؤمله فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه بل صار معذبا بفوات نفعه وبحصول ضد النفع فلهذا قال تعالى (وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) فهذا مثل الضال الذي يحسب أنه على هدى)).

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله.

أما بعد :

فهذا مثل بل مثلان ذكرهما الله تعالى بأعمال الكفار، والكفار هم أيضا أهل الكتاب وقد ثبت ذلك في حديث أبي سعيد الخدري فيما سمعتم قطعة منه، ويخاف المؤمن، ونحسب أن المصنف منهم أن يلحق بهم أهل الأهواء والبدع، فالنص الصريح في المثلين وما قال الله عز وجل (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ والله سريع الحساب) هذا المثل الأول ، مثل واضح بين ليس فيه ذكر مثل كالأمثلة السابقة ولا مشتقاتها ولكنه أثر واضح جدا ، وهو مثل في ميدان العقيدة . وأمثال القرآن فيما تعلمنا جلها في الأثار المترتبة على التوحيد الصحيح أو على التوحيد الباطل ، فأثار الإيمان هذه من المسائل المهمة، فالمسلمون مهما وصل حالهم ما دام أن هنالك في قلوبهم معتقدا وإن لم يكن كاملا أو تاما فهم بخير، وهذه الخيرية تظهر من خلال المقارنة بين المسلم والكافر ، ولو كان الكفار أهل كتاب كحال الأجانب اليوم واثر عدم إيمانهم باليوم الأخر، انظروا إلى أحوالهم وأنظروا إلى أحوال المسلمين حتى الفجرة منهم، فالمعتقد له أثر كبير

على حياة الإنسان ، على سعادته ، على خروجه من حيرته ، على صحة توجهه ، على الثمرة المترتبة على الأعمال التي يفعلها عند الله عز وجل.

هذا مثل فيه كالعادة تشبيه ما هو غير محسوس ولا ملموس وهو الأعمال (أعمال الكفار) ، الله يقول (والذين كفروا أعمالهم) هؤلاء مشبه ، المشبه هذا أعمال وهذه الأعمال لا ترى ، شبهها الله عز وجل بما يرى، والذي يرى السراب ، و السراب ما يرى في الفلاة المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة ، يسرب على وجه الأرض كأنه ماء فيتوهم الظمآن وهو بحاجة إلى الماء وقد اشتد به العطش وكاد أن يهلك فهو يتوهمه ماءا ،هذا حال الكفار يوم القيامة، الكفار لما يبعثون فكل يبحث عن عمله ، أعمالهم لأنها قائمة وإن كانت كثيرة وإن كان فيها تعب وشدة فهي قائمة على أصل غير صحيح ، وعلى معتقد يضاد الله جل في علاه ، فليس فيها اعتراف بوحدانيته، فهم يشركون معه سواه .

أنظر معي في بعض الآيات ، الله عز وجل يقول عن أهل الكتاب ، يقول عنهم (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة) الوجوه خاشعة، والأركان عاملة ناصبة والمآل أنها (تصلى نارا حاميه) ما انتفعوا بأعمالهم ، الأعمال التي فعلوها في هذه الحياة الدنيا مع ما فيها جد واجتهاد ، وما فيها من خروج عن المتاع ومصادمة للغرائز التي خلقهم الله تعالى عليها ، وهي الرهبنة مثلا ومع هذا لم تنفعهم، فالعمل لا ينفع صاحبه يوم القيامة إلا كما تعلمون أن توفر فيه شرطان :

الشرط الأول: الإخلاص لله جل في علاه.

الشرط الثاني: المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم. وفي حق من مات قبلنا المتابعة للأنبياء لأنبيائهم . العمل الصالح عند أهل الكتاب ممن لم يدرك الإسلام كذلك. هذا مسألة ليست خاصة في الاسلام المسلمين. الإيمان الإخلاص ومتابعة الأنبياء أنما هي مسألة عامة في جميع الأديان فجميع الأديان إن خالفوا هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم ممن لم يدرك الإسلام كذلك لم يقبل له عمل، المطلوب منهم أمران الإخلاص ومتابعة أنبيائهم وهكذا .

(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن) ، الظمآن على وزن فعلان، وتعلمنا في دروسنا في التفسير الفرق بين وزن فعلا وزن فعيل لما شرحنا قول الله تعالى (الرحمن الرحيم) قلنا الرحمن تدل على الكثرة ، وزن فعلان يدل على الكثرة ،لذا يقال فلان سكران ، فلان غضبان فلان جوعان فلان عطشان يدل على الكثرة ، وفعيل يدل على الثبات، تقول عين كحيل، ويد خضيب ، ولذا قلنا الفرق بين الرحمن والرحيم: أن الرحمن يدل على الكثرة فهو رحمن بالمؤمن ورحمن بالكافر، لذا قال الله عز وجل : (وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) ، قال للرحمن. الطير في سورة الملك ذكر الرحمن ، هو الرحمن بالدواب الرحمن بالإنسان ، و الإنسان سواء كان مؤمنا أم كان كافرا لأن الرحمن فعلان والفعلان تدل على الكثرة ، الرحيم (وكان بالمؤمنين رحيما)، الرحيم كلاهما من الرحمة، الرحمن الرحيم ، الرحمن للكثرة والرحيم الثبات والبقاء ، فلذا الله رحيم بالمؤمنين في الاخرة، ومن كان الله به رحيما فهذه رحمة باقية مستقرة دائمة فأرجو الله أن يكون بنا رحيماً سبحانه وتعالى فهو رحيم الآخرة وليس رحيم الدنيا.

ما هو المثل؟

المثل: كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.

بقيعة من القيعة والقيعة من القاع والقاع المنبسط في الأرض الذي لا جبل فيه ولا واد، كسراب في بقيعة في أرض منبسطة يراها الإنسان كأنها تسرب ماءَ ولكن عند الجهد والاجتهاد والتعب والوصول إليها لما يصل إليها يجدها ماذا؟

ماذا يجد لما يصل؟

فوجد الله عنده .

نقلة سريعة من المثل المادي الملموس إلى الأمر الآخروي والله يكون عنده، والله جل في علاه الذي لا يُحابي أحدا ،الله جل في علاه سبحانه وتعالى الحكَم العدل، الله عز وجل الرحيم في الخلق والشديد على الكفار ،ومن رحمته بالمؤمنين أنه يميزهم عن الكافرين (فوجد الله عنده).

الله قال: {كسراب بقيعة يحسبه الظمآن}.

الظاهر في الآية لو أنا وأنت أردنا أن نُعبّر بتعبيراتنا نقول يحسبه الرائي يحسبه الناظر ، هؤلاء أهل الدنيا إن عبَّروا وتكلموا عن المثل بالعبارات المعروفة يقول يحسبه الرائي ويرى هو يبحث يتلمّس برؤية شديدة ويريد أن يجد ماءً يتلمّس ينظر ،لكن الله ما قال يحسبه الرائي وما قال يحسبه الناظر وإنما قال يحسبه الظمآن، الظمآن الذي يبحث عن شيء فيه قوام الحياة، وفي هذا إشارة إلى المثل المائي المذكور في البقرة والمذكور في الرعد وقد سبقاه، وكذلك الظلمات والنور في المثل الثاني كذلك فيه إشارة إلى المثل الذي فيه إحراق وإشراق، فمثل الكفار الإحراق ومثل المؤمنين الإشراق المثل الثاني الظلمات.

من سنة الله التي لا تتخلف أن النور لا ينحصر وليس له بقعة معين، ولذا هذا هو سر انتشار الإسلام في الدنيا كلها لأن النور لا يقبل أن ينحصر في محِل.

قرأت لعالِم من علماء ألبانيا توفى سنة ألف وثمانمائة وخمسة وثمانين له كتاب عن انتشار الإسلام، ويقولون عنه في زمنه كان رجلاً له غَيرة على الإسلام، فقرأت كتابه والطبعة قديمة قبل ألف وتسعمائة الكتاب، يقول الذي اعتقده أن أوروبا لن يصلها الإسلام، أوروبا ستفرخ فيها النصرانية والكاثوليك والبروستانت والإسلام سيموت في الصين في الشرق في الجهة الشرقية.

علماء الاجتماع يقولون: الصين واليابان والشرق أقبل وأدعى لقبول الإسلام، لم يُعرف في تاريخ البشرية ولا أظن أنه يُعرف أقوام حوربوا بقوة وبشدة كالصين. للآن توركستان الشرقية وما يسمى ونحن بعيدون عنها الإيغوريون وما يجري في محاربة الصين كان هجوماً شرساً شديداً.

وثم فيما بعد قرأت للعالِم الأول في العالَم يعتبروه وهو تلميذ صغير لابن خلدون وهو كافر فرنسي اسمه غوستاف لوبون ، وهذا رجل كتاباته بديعة فيكتب ويقول أنا أعتقد أن ان الصين ستحمل الإسلام لأن طبائع الصينيين قريبة من طبائع الشرقيين وطبيعة بأن تغزوهم المعتقدات ومعتقداتهم التي هم عليها باطلة.

اليابان من أقوى دول العالم كما تعلمون ومن أكثر دول العالم سخافة في المعتقد، لست بصدد الكلام المفَصَّل عن هذا لكن المراد أن هذه الأمثلة سُنن لله جل في علاه وهذه السنن إذا

بقيت على أريحيتها وعلى حالها فلا بد أن تأخذ ثمارها، يُقاومها الخلق يقاومون ويبذلون جهوداً لمضادتها ، لكن في النهاية لا بد أن تقوم ، ولذا لما انتقل تقي الدين الهلالي في سنة ألف وتسع مئة وتسعة وعشرين إلى برلين إلى –ألمانيا– يقول كان هناك حوالي ستة أو سبعة مسلمين في برلين سنة العشرين، والذي سبق في نشر الإسلام في أوروبا وسبب انتشار المساجد الكبيرة في أوروبا وهذا مما نجهله أن المساجد التي أُنشأت في بريطانيا وفي فرنسا وفي ألمانيا مساجد للقاديانية، الديانة القاديانية وهذا هو السر أن المصاحف التي تُرجمت للغة الغير العربية التي نقلت من اللغة العربية إلى اللغة الألمانية وإلى اللغة الإنجليزية وإلى اللغة الفرنسية كلها قاديانية ، حتى مجمع الملك فهد أسأل الله أن يحفظه كم أفاد المسلمين في طبع المصاحف وكم أفاد المسلمين في نقل المصاحف إلى لغات كثيرة بكل الطرق المسموعة والمقروءة وترجموا إلى الآن أكثر من عشرين مصحف كريم بأكثر من عشرين لغة، أول ما اعتمدوا في اللغة الإنجليزية وهي اللغة العالمية الأولى في العالم أول ما اعتمدوا اعتمدوا مصحف قادياني ما وجدوا إلا المصحف قادياني ،فكانت علاقات الشيخ ثقيل الهلالي مع الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى شديدة فهو الذي تفرغ إلى ترجمة القرآن إلى اللغة الإنجليزية وأصبح الآن طُبعت منه مئات الملايين ووزعت على المسلمين في أرجاء الدنيا فجزاهم ربي خيرا.

الشاهد من الإيراد أن الإسلام في أوروبا العقول كانت تأبى تقول أنه سيصل إلى أوروبا لكن العمل هو لله جل في علاه اتركوا الإسلام اتركوا الناس على فِطَرهم وانظروا الى النتائج، اتركوا الصراع يتصارع الناس صراع صحيح صراع أفكار صراع حوار كما يحصل اليوم في الحدائق في بريطانيا، الآن إخواننا يذهبون ويقابلون الناس في بعض الحدائق وتسمع مناظرات أحياناً وثم

تجد مشاهدات فيها نصرة عجيبة للإسلام. الإسلام لا نخاف عليه لكن نخاف على أنفسنا ونخاف من الموانع التي أمام الإسلام هي التي تحول دون انتشار الإسلام.

الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، ولكن هذا لا ينفعه عند الله عز وجل، فيجد كما قال الله عز وجل :(حتى إذا جاءه لم يجده شيئا). علمائنا –علماء الأصول– يقولون: شيئاً نكرة في سياق نفي(لم) والنكرة في سياق النفي تدل على ماذا؟

على العموم .

ما وجده شيء لا شيء لا ينفع لا دين ولا دنيا، والأعمال التي فعلوها كلها كأنها معدوم ، في الآخرة كأنها معدومة في الدنيا ليست معدومة والكلام طويل في هذا الباب.

فوفّاه حسابه والله سريع الحساب.

مثل عن شخصية الكفار وما عبدوا من دون الله عز وجل ، ومادة المثل الأول هي الماء والسراب ومادة المثل الثاني هي الظلام ، فأعمال الكفار تدور بين سراب وبين ظلمات في المثل الثاني كما ذكر الله عز وجل ، وهذا المثل يجمع بين أصحاب هذه الأعمال والضياع، فهي ضائعة غير مقبولة عند الله عز وجل ، فأعمالهم كَسراب خدّاع، وهم ظمآنين، والله أن الكافر ظمآن والله أن الكافر ظمآن ، في داخله شيء يحتاج إلى علاج.

جاء واحد قسيس زارني فأسلم، يقول: الكنيسة أسكنتني في مرج الحمام في السوق، يقول: فَجُعت فذهبت أشتري طَعمية ، هو أمريكي متعلم شيء من اللهجة المصرية. فأقول له: لما أسلمت؟ قال: أسلمت، صاحب المطعم واضع سورة مريم، قال: فجلست أسمع قال: أنا

عطشان والتحقت بأن أصبح قسيساً حتى أروي العطش الذي أنا فيه. يقول: أنا الآن لما بدأت أسمع سورة مريم تغير حالي، بدأت أشعر بأني أُروى. هكذا يقول، مثَّل نفسه بالعطشان. قال: فقلت للبائع، قال: فكان أخ مصري، أقول له أريد الشريط. قال: فتكلم معي عن الصلاة. قلت: أريد الشريط. يقول: أنا الآن حافظ سورة مريم، والله بسماعي لسورة مريم انقشع ظَمَئي وعلمني ربي أمراً عجيباً، هذا الذي أبحث عنه. الكثير من المسلمون سبب الإسلام أنا وأنت لا نقف عنده طويلاً لكن هم يقفون عنده طويلاً هي رحلة عذاب، رحلة طويلة، نحن بفضل الله عز وجل بسبب إسلامنا هنالك حقائق راسخة في قلوبنا لا تتزحزح ولا تقبل أدنى شك كل ما ورد في كتاب الله وفي صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤمن به ولا نشك فيه لكن هم يشعرون بهذا، لكن المصيبة أن هذه الأعمال يجمعها الضياع، إذا مات الإنسان على كفره مهما فعل فسيقابل الله عز وجل وهو ضائع وسيعلم ضياعه عندما يلقى ربه سبحانه وتعالى، وسيعلم علم اليقين أنه كان في وهم وفي ظنون وفي خداع، ولكن ندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

فهذا مثل تصويري لبيان ضياع أعمال الكافرين ، وأن عملهم في الدنيا لا ينفعهم ولا يجدون عند الله عز وجل ثواباً، وأن سعيهم كالسعي وراء السراب، وهي صورة معروفة لدى العرب الذين يعيشون في الصحراء وهم يعانون من شح الماء ، ولذا هذا الأمر وبحثهم عن الماء وتوهمهم لوجوده خبروه بالأعمال، فتبين لهم السراب، ولذا الله جل في علاه مثَّل لهم بحال هم كانوا عليه وهم في صورة كانوا يعرفونها.

حديث أبي سعيد فيه إشارة إلى أن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) هم معنيون أصالة في هذا المثل بقوله سبحانه: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا}.

من هم الذين كَفَرُوا ؟

ليسوا الملحدين.

الَّذِينَ كَفَرُوا: العاملين لله لكن أعمالهم ليست كما يحب الله.

وهنا لفته عجيبة للإمام ابن القيم في كلماته السابقة، وله بسط عجيب في كتبه الأُخرى في أن أهل البدع الذين يعملون على غير سنة رسول الله ﷺ و أهل الأهواء يصيبهم شيء من هذا المثل، لأن هذا المثل قائم على الأعمال الباطلة، ومن عمل عملا وإن كان جليلا

خاضعا تحت الشرع.

(مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ).

خاضع تحت الشرع لكن النية فاسدة، أو العكس النية الصحيحة ولكن العمل غير صحيح فله نصيب من هذا المثل.

نأتي للمثل الثاني.

المثل الثاني: مشهد فيه ماء، وهذا الماء في حالٍ فيه رعب ، أمواج متلاطمة وذكرها الله عز وجل للتشنيع على مآل الكفار.

مشهد رهيب مظلم، أمواج فِي بَحْرٍ لُجِّي، و البَحْر اللُجِّي (البحر العميق) وينسب إلى لُجَّةِ البحر و هو عمقه ، و هذا المثل فيه ذكر أمواج من بحر لُجِّي يكتنف هذه الأمواج سحاب مظلم.

النبي ﷺ ما يعرف البحر معرفة تفصيلية.

و هذا المثل بهذه الظلمات، بهذا الترتيب، بعض البُحَّار الأجانب كما هو مذكور في بعض كتب المعاصرين لما قرأ هذا المثل قال هذا مثل لا يكون إلا من الله، فأسلم بسبب هذا المثل ،لأن هذا المثل لا يعرفه البشر بهذه الطريقة.

فأعمالهم ظلمات بعضها فوق بعض.

خِضم هائج لا يكاد صاحبه أن يدرك نفسه في هذا الخضم فيغمره الخوف من كل مكان، كذلك موقف الكفار الرهيب من أعمالهم يوم القيامة، أعمالهم سيئة أعمالهم أشد ظلاما من الليل فقلوبهم قد غشَّاها الظلام والجهل و الحيرة، قال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} .

تراكم جهل الطبع وجهل النفس والجهل الذي فيه الذي يخالف العلم.

المؤمن يعيش في نور بل يعيش في نور الفطرة، وفي نور الكتاب، وفي نور السنة، وفي نور التوحيد، وفي نور الإتباع ، فالمؤمن محاط بالنور من كل مكان، وكلها روافد تصل إلى قلبه، وهي طبيعة النور، أما الكافر يعيش في ظلام ويعيش في حيرة ويعيش في جهل.

المؤمن هو فقط الذي يجيب على الأسئلة المِلحَّة الأربعة، وجواب هذه الأسئلة المِلحَّة على كل إنسان لا تجدها إلا بالإيمان.

الأسئلة الأربعة من أين؟ وإلى أين؟ وكيف؟ ولماذا؟ من أين جئنا ؟ وإلى أين نسير؟ ولماذا خلقنا ربنا؟ ثم كيف نرضيه سبحانه و تعالى؟

لذا أعظم مِنة لله على خلقه ما هي؟

من ظن أن فضل الله عليه في المأكل، والمشرب، و المنكح، هذا دابة من الدواب، أعظم مِنة وفضل لله على خلقه أنه عرَّفهم بنفسه، ولا يستطيع العباد أن يعرفوا ربهم بعقولهم معرفة تفصيلية، فالعقل يعرف أن الله جل في علاه حق، لكن هذا الرب ماذا يريد؟ لا يستطيع العقل أن يعرف ذلك، و إنما الذين يعرفهم من هم؟

الأنبياء.

فبعث الله الأنبياء ليُعَرِّفوا الناس بربهم وهذه أعظم مِنة لله عز وجل على خلقه.

قال المؤلف –رحمه الله–: ((**والنَّوْعُ الثّانِي: أصْحابٌ مَثَلُ الظُّلُماتِ المُتَراكِمَةِ، وهم الَّذِينَ عَرَفُوا الحَقَّ والهُدى، وآثَرُوا عَلَيْهِ ظُلُماتِ الباطِلِ والضَّلالِ، فَتَراكَمَتْ عَلَيْهِمْ ظُلْمَةُ الطَّبْعِ وظُلْمَةُ النُّفُوسِ وظُلْمَةُ الجَهْلِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ فَصارُوا جاهِلِينَ، وظُلْمَةُ اتِّباعِ الغَيِّ والهَوى، فَحالُهُم كَحالِ مَن كانَ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ لا ساحِلَ لَهُ وقَدْ غَشِيَهُ مَوْجٌ ومِن فَوْقِ ذَلِكَ المَوْجِ مَوْجٌ، ومِن فَوْقِهِ سَحابٌ مُظْلِمٌ، فَهو في ظُلْمَةِ البَحْرِ وظُلْمَةِ المَوْجِ وظُلْمَةِ السَّحابِ، وهَذا نَظِيرُ ما هو فِيهِ مِن الظُّلُماتِ الَّتِي لَمْ يُخْرِجْهُ اللَّهُ مِنها إلى نُورِ الإيمانِ، وهَذانِ المَثَلانِ**

بِالسَّرابِ الَّذِي ظَنَّهُ مادَّةَ الحَياةِ وهما الماءُ والظُّلُماتُ المُضادَّةُ لِلنُّورِ نَظِيرُ المَثَلَيْنِ اللَّذَيْنِ ضَرَبَهُما اللَّهُ لِلْمُنافِقِينَ والمُؤْمِنِينَ، وهما المَثَلُ المائِيُّ والمَثَلُ النّارِيُّ، وجَعَلَ حَظَّ المُؤْمِنِينَ مِنهُما الحَياةَ والإشْراقَ وحَظَّ المُنافِقِينَ مِنهُما الظُّلْمَةَ المُضادَّةَ لِلنُّورِ والمَوْتَ المُضادَّ لِلْحَياةِ؛ فَكَذَلِكَ الكُفّارُ في هَذَيْنِ المَثَلَيْنِ، حَظُّهم مِن الماءِ السَّرابُ الَّذِي يَغُرُّ النّاظِرَ ولا حَقِيقَةَ لَهُ، وحَظُّهم الظُّلُماتُ المُتَراكِمَةُ، وهَذا يَجُوزُ أنْ يَكُونَ المُرادُ بِهِ حالُ كُلِّ طائِفَةٍ مِن طَوائِفِ الكُفّارِ، وأنَّهم عَدِمُوا مادَّةَ الحَياةِ والإضاءَةِ بِإعْراضِهِمْ عَنْ الوَحْيِ؛ فَيَكُونُ المَثَلانِ صِفَتَيْنِ لِمَوْصُوفٍ واحِدٍ؛ ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ المُرادُ بِهِ تَنْوِيعُ أحْوالِ الكُفّارِ)).

هذا مهم، أنه هل المثلان لواحد أم المثلان لأصناف من الكفار؟

يجوز أن يكون المثلان لشخص واحد و يجمعهما الكفر ، ومثَّل الله تعالى بالكافر إلى بالمثلين، ويجوز أن يكون الكفار أصناف صنف جاهل ففيه ظلمات، وصنف مُعاند ذاك وقع بجهل وهذا وقع بعناد فحينئذ يكون حاله كحال السراب، وهذا محتمل وهذا محتمل فالكفار ليسوا سواء في سبب كفرهم وسبب إصرارهم على الكفر.

((وأنَّ أصْحابَ المَثَلِ الأوَّلِ هم الَّذِينَ عَمِلُوا عَلى غَيْرِ عِلْمٍ ولا بَصِيرَةٍ، بَلْ عَلى جَهْلٍ وحُسْنِ ظَنٍّ بِالأسْلافِ)).

لذا الشاطبي يذكر في الموافقات كلام عجيب قال: قد اجتمع فلان و سمى عالما مغربيا مع النصارى وكان عارفا بأهل الكتاب قال فسرد على مسمعه سبعين مثلا من الإنجيل فيه تناقض، فقال (النصراني): فرغت؟

قال(المغربي): نعم

قال: فسرد (النصراني) على مسامعه أضعافها.

قال له و تعلم هذا وأنت على كفرك تبقى على كفرك.

قال تحسينا بظن من سلف ، وهم الذين سبقوني يعني أن أنا أفهم منهم، تقليدا هذا نوع من أنواع الكفار.

في نوع آخر لما يعلم الحق الله عز وجل يكرمه، مثل ذاك الفرنسي الطبيب الجراح كان نصرانيا مبشرا فيقول: ما جاءني مسلم إلا وألقيت الشُبَه أمامه، وهو موريس بوكاي، ونفع الله بإسلامه الإسلام كثيرا في أوروبا بخلاف (رجاء جارودي) المجرم الكافر الذي زعم أنه مسلم وكان هو راس الفتنة الإبراهيمية الديانة الإبراهيمية كان رأسها (رجاء جارودي) و الكفار صنعوا له معاهد في أكثر من بلد من اوروبا، فموريس بوكاي يقول جاءني مرة خبر اني سأعالج الملك فيصل، الملك فيصل رجل صالح والله حسيبه، الملك فيصل الذي استخدم البترول في مقاطعة الكفار في سنة ثلاثة وسبعين، وكان لهذا السلاح أثراً فعالا، فيقول بدأت معه كما أبدأ مع المسلمين، قلت :حتى لو كان رئيس المملكة العربية السعودية سأبقى معه.

قال: فبدأت أتكلم معه قال فوجدته رزينا هادئا قال فلما فرغت مد يده قال صافحني فقال لي: هل قرأت القرآن؟ قال: فقلت متبجحا قرأته مرتين، قال فسألني قال هل قرأت القرآن باللغة العربية أم أنك قرأته باللغة المترجمة؟

قال: لا بالمترجمة. ما قرأته باللغة العربية.

قال: عاهدني أن تقرأ القرآن باللغة العربية حتى تعلم الإسلام.

قال: فعاهدته.

قال: في نفس اليوم الذي عاهدته فيه اتصلت بجامعة في فرنسا لتعلم العربية ، وعلى كثرة مشاغلي فرَّغت نفسي لأتعلم العربية.

قال: تعلمت العربية فسحرت بها.

الفرنسيين يحبون لغتهم حبا جما، ويعتقدون أن هناك مزايا في لغتهم وفي ذوقهم، وهم أعلى الأقوام ذوقا.

قال: حتى لما جاءتني فرصة أن أذهب إلى الجزائر فأُدَرِّس في بعض الجامعات هناك فمكثت عشر سنوات في الجزائر حتى أتعلم العربية، ذهبت للجزائر حتى أتعلم العربية.

قال: ثم بدأت أُقارن.

هذه مسألة المهمة جدا وكانت سبب في انتشار الإسلام في أوروبا أو من الأسباب والأسباب كثيرة.

قال: عرضت الحقائق العلمية على التوراة وعلى الإنجيل وعلى القرآن، وألف كتب وحاضر في جميع بلاد أوروبا ، العلم في التوراة والإنجيل والقرآن والكتاب مطبوع بكل اللغات، وأثبت فيه للأُوروبيين أن القرآن فقط هو الذي يوافق الحقائق العلمية وأن غير القرآن لا يوافق الحقائق العلمية.

وجدت مراسلات من الملك فيصل للشيخ ابن باز رحمه الله يقول له انتبه لموريس بوقاي، والشيخ بن باز راسل الشيخ تقي الدين الهلالي وقال له: موريس بوقاي في فرنسا يحتاج إلى دعوة إلى آخره.

الشيخ الهلالي كان عمره فوق الثمانين بدأ يتعلم الفرنسية فختم اللغات التسع التي يتقنها، وهي اللغة التاسعة ختم بها فتعلم الفرنسية، وكان سنه فوق الثمانين ثم ذهب إلى فرنسا وقابل موريس بوقاي فأعلن اسلامه.

الشاهد من إيراد الكلام أن الكفار أصناف منهم من هو معاند وهذا كالسراب بقيعة ومنهم من هو يحتاج إلى من يبين له وإلى من ينوره ومن يعرفه بحقيقة الإسلام، وهذا الذي يخرج من الظلمات وينتقل إلى النور هذا الذي يخرج مما هو عليه وينتقل إلى الاسلام

قال رحمه الله: ((**وأن اصحاب المثل الأول هم الذين عملوا على غير علم ولا بصيرة بل على جهل وحسن ظن بالأسباب فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعا واصحاب المثل الثاني هم الذين استحبوا الضلالة على الهدى واثروا الباطل على الحق وعموا عنه بعد أن ابصروه وجحدوه بعد أن عرفوه فهذا حال المغضوب عليهم والأول حال الضالين**)).

لا إله إلا الله ابن القيم ما نسي أن حال الاثنين هنالك مثلا للأمة كلها؛ المغضوب عليهم والضالين، حتى حال العصاة من المسلمين حالهم يعود لمن؟

المغضوب عليهم والضالين.

واحد من المتأخرين من أهل غزة له كتاب اسمه (حسن التنبه لما ورد في التشبه) مطبوع في ستة عشر مجلدا، يرد جميع المعاصي التي تقع في أمة الاسلام تدور على مشابهة اليهود أو مشابهة النصارى، العلماء منهم يشابهون اليهود والعباد منهم من عوام المسلمين يتشبهون بالنصارى

وقد قال سفيان ابن عيينة مقولة بديعة قديما مقولة من أبدع المقولات رحمه الله قال سفيان ابن عيينة من فسد من علمائنا ففيه شبه من يهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

العابد يشبه بالنصارى والعالم شبه باليهود، فأصل الفساد كله يدور على اليهود المغضوب عليهم والضالين، لذا تمام الهداية في قولك اهدنا الصراط المستقيم، تطلب الصراط لذاته صراط الذين أنعمت عليهم تطلب الصراط ممن سلكه، الذين يعرفون الحقائق بالتصور أهل العلم والناس يعرفون الحقائق بالاقتداء بالمتابعة، ثم تقول غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

أخرج الترمذي أن النبي قرأ الآيات فقال غير المغضوب عليهم اليهود فقال ولا الضالين قال النبي صلى الله عليه وسلم: النصارى.

فأنت لما تسأل ربك صراط مستقيم، الصراط عرف بكل الطرق، تعرفه لذاته تعرفه لأهله، ثم علماء المنطق يقولون الأشياء تتضح بأضدادها، فتسأل ربك أضداد الصراط، أضداد الصراط طرفان لا ثالث لهما، الطرف الأول مغضوب عليهم الذين يعلمون ولا يعملون، والطرف الثاني الذين يعمل ولكنهم ليسوا على هدى يعملون دون علم –دون بينة– ، فالكفار قسمين.

الإمام ابن القيم رحمه الله ما فاته أن رد القسمين إلى المغضوب عليهم والضالين.

قال رحمه الله: ((**وحال الطائفتين مخالف لحال المنعم عليهم المذكورين في قوله تعالى (الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشاة فيها مصباح المصباح في زجاجة إلى قوله تعالى (ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب))**

طبعا ذكر المؤمنين (الله نور السماوات والأرض) لأنها في سورة النور وقبل هذه الآيات هذه الآية قبل المثل فجعلهم ممن أنعم الله تعالى عليهم وعبارة أنعم الله عليهم مأخوذة من سورة الفاتحة وهذا مثل بليغ ، الله نور السماوات والارض لنا معه الوصفة ولنا معه شرح بإذن الله

قال : ((**فتضمنت الآيات أوصاف الفرق الثلاثة المنعم عليهم وهم أهل النور والضالين وهم أصحاب الصراط والمغضوب عليهم وهم أهل الظلمات المتراكمة والله اعلم**)).

انظر نور وسنة الله في النور أنه لا يقبل الانحسار، أهل ظلمات وهو يقبل الانحصار، فإذا فهمت هذا عرفت سنة الله تعالى الجارية الباقية إلى يوم الدين بانتشار الاسلام، أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا اخرج يده لم يكد يراها فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

ظلمات التيه مطلق لا يتبين صاحب هذه الظلمات يده لا يراها فأنا له أن يتوجه إلى غيره وأن يهديه، تدحرج قلب صاحب هذه الظلمات في ظلمات كثيرة وكابر وأنكر وبعضهم وجود الله عز وجل واستبرأ الكفر والضلال وهو متلفع بظلمات الجهل ، فلا هو باحث عن نور ولا عن أسلوب الخلاص، فيرى الدنيا كأنها سوداء أمامه لا يعرف من الدنيا إلا الشهوة محجوب عن كل نور، عن كل ما يصله بالله عز وجل هو محجوب.

فمن سنن الله في خلقه أن للنور ظاهرة الانتشار والاختراق، والظلام لا ينتشر ، بل ينكسف وينحسر وسرعان ما يتلاشى ببصيص ضئيل ينطلق من شمعة صغيرة، قد يرى الناس أنه لا أثر لها، ولكن هو صاحب النور، صاحب النور ينتشر ، لذا كثير من الناس بصدقهم واخلاصهم مع الله عز وجل نفع الله تعالى بهم أمما ، سبب النفع أنهم أصحاب النور ، النور لا يقبل أن تحصره في مكان معين.

الظلمات له موقع محدد أسود، النور انتشار واسع عبر الفيافي والقفار ، وللنور حقيقة باقية والباطل ظلمة، ولابد لظلمته أن تؤول إلى زوال، ولابد أن يغمر النور جنبات الكون وآفاقه، لأنه سنة الله تعالى التي ارتضاها له سبحانه وتعالى، فهذا حال الكفار وحال مثل النور المذكور في سورة النور.

قال المؤلف –رحمه الله–: ((**أصحاب مثلي السراب والظلمات فالمثل الأول من المثلين لأصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع والمثل الثاني لأصحاب العلوم والنظر والأبحاث الذي لا ينفع فأولئك أصحاب العمل الباطل وهؤلاء أصحاب العلم الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة**)).

إذا قسمين قسم عمل لا ينفع وقسم علم لا ينفع، عمل لا ينفع نصارى علم لا ينفع يهود، وتنويع المثل لحالين أقعد وأوضح وأظهر من جعل المثلين لفريق واحد، فالمثلان المذكوران لطائفتين والطائفتان يتوزعان الضلال فيما بينهما، علم بلا عمل ، أو عمل بلا علم، وهذا التنويع يأذن بأن يلحق بالكفار أهل الضلال ممن علموا ولم يعملوا وممن عملوا ولم يعلموا،

أهل الأهواء الذي أشار إليهم الإمام ابن القيم وأهل البدع يلحقون بالمثل، المثل ليس أصالة فيهم لكن ينالون شيئا منه ينالون شيئا منه.

قال المؤلف –رحمه الله–: ((**وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق ولهذا مثل هذا الفريق الثالث تلاطم أمواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في قلوبهم بتلاطم أمواج البحر فيه وأنها أمواج متراكمة من فوقها سحاب مظلم وهكذا امواج الشكوك والشبه في قلوبهم المظلمة التي قد تراكمت عليها سحب الغي والهوى والباطل فليتدبر اللبيب أحوال الفريقين وليطابق بينهما بين المثلين يعرف عظمة القرآن وجلالته وأنه تمثيل من حكيم حميد**)).

أهل الباطل من أهل الكلام الذين أرادوا أن يصلوا إلى اليقين عبر الفلسفة وعلم الكلام وما لجأوا للقرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا للعمل بهما بقوا في حيرة، لذا من كلمات العلماء الموفقين من السلف الصالحين وهذه لفتة مهمة جدا ينبغي أن لا تنسى لما يذكر موضوع اليقين، لا يمكن أن تحصل اليقين إلا بالعمل، أن تحصل اليقين بفلسفات وقضايا عقلية محضة لا يمكن لمن سلك هذا المسلك دون تدين وتأله وتقرب إلى الله عز وجل أن يحصل اليقين، ووقع في هذا جمع والذي يقرأ كتب الائمة الثقات يجد هذا واضحًا.

قال –رحمه الله–: ((**وأخبر سبحانه أن الموجب لذلك أنه لم يجعل لهم نورا بل تركهم على الظلمة التي خلقوا فيها فلم يخرجهم منها إلى النور فإنه سبحانه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور وفي المسند من حديث عبدالله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه**

وسلم قال أن الله ترك خلقه في ظلمة وألقى عليه من نوره فمن أصابه من ذاك النور اهتدى ومن أخطأه ضل)).

لذا هذا هو ظلمة الطبع التي تقدم ذكرها من كلام الإمام ابن القيم خلق الناس في ظلمه ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ظلمة الطبع ثم تتبع ظلمة النفس الأمارة بالسوء، ثم تأتي ظلمة الجهل فيعيش الإنسان في ظلمات، أنا أن يكون هذا مثل ذاك الذي يعيش في أنوار في نور ثم نور وتوحيد وسنة نور الطاعة والعبادة نور القرآن ففرق بين هذا وذاك.

قال –رحمه الله–: ((**فلذلك أقول جف القلم على علم الله فالله سبحانه خلق الخلق في ظلمة فمن أراد هدايته جعل له نور وجودياً يحيي به قلبه وروحه كما يحيي بدنه بالروح التي ينفخها فيه فهما حياتان حياة البدن للروح وحياة الروح والقلب للنور ولهذا سمى سبحانه الوحي روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه كما قال تعالى " ننزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده " وقال تعالى " يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده " وقال تعالى " وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا قلت ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا " فجعل وحيه روحاً ونوراً فمن لم يحييه بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نوراً فهو في الظلمات ما له من نور**)).

كلام بليغ وعجيب ولكنه مضغوط يحتاج إلى بسط والأعجب من كلام الإمام ابن القيم كلامه في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية على هذا المثل.

سأقرأ لكم وأسمعكم كلامه على هذا المثل في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية.

وقد فقهنا المثل وفهمنا أنه مثل لطائفتين من الكفار ويشمل الكفار الكافر أصالة أو أهل الكتاب من اليهود والنصارى بل قد تتسع مثالين إلى بعض من وافق الكفار في بعض الخصال.

قال الإمام ابن القيم في كتابه الاجتماع للجيوش للإسلامية: ((**وهؤلاء هم أهل الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به والظلم باتباع أهواءه الذين قال الله تعالى فيهم " إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى " وهؤلاء قسمان أحدهما الذين يحسبون أنهم على علم وهدى وهم أهل الجهل والضلال فهؤلاء أهل الجهل المركب**)).

من هو الجهل المركب؟

جاهل ويجهل أنه جاهل هذا جاهل مركب في جاهل أيسر جاهل وهو يعلم أنه جاهل لكن جاهل ويجهل أنه جاهل هذه مصيبة.

قال : ((**الذين يحسبون أنهم على علم وهدى وهم أهل الجهل والضلال فهؤلاء أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادون أهله وينصرون الباطل ويوالونه ويوالون أهله ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون فهم لاعتقادهم السيء على خلاف ما عليه بمنزلة رائي السراب الذي يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يخون صاحبه أحوج ما هو أحوج ما هو إليه**

ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان كما هو الحال من أم السراب فلم يجده ماء لا الأمر ليس كذلك قال بل ضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكم الحاكمين وجد الله عنده هو وأهل السراب في ضلال وضياع ما وجدوا ماء لكن هذا الكافر ما وجد ماء وجده سراباً وأيضاً له حساب ووجد الله عنده فوجد عنده أحكم الحاكمين، فوجد عنده أحكم الحاكمين وأعدل العادلين سبحانه وتعالى فحسب لهم عنده من العلم والعمل فوفاه إليها بمثاقيب الذر)).

عادل الله جل في علاه يحاسب ولا يظلم لكن المؤمن يحاسب المؤمن وهو غفور شكور.

ما الشكور؟

يجازيك بأعلى ما عنده بأدنى ما عملت يجازيك بالكرم والفضل مقابل عمل قليل الشكور، لذا العرب تقول شكور تقول الدابة التي تعلفها بعلف قليل فتعطيك حليباً كثيراً تقول هذه دابة شكور ، العرب تقول شكور تجازيك بأحسن ما عندها من حليب وأنت تبخل عليها بأقل ما عندك من طعام لذا الله عز وجل غفور شكور سبحانه وتعالى.

قال: ((**فوفاه إياه بمثاقيب الذر وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه فجعله هباء منثوراً إذ لم يكن خالصاً لوجهه ولا على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وصارت تلك الشبهات الباطلة التي كان يظنها عيوباً نافعة كذلك هباء منثوراً فصارت أعماله وعلومه حسرات عليه والسراب ما يرى في الفلات المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري والقيع والقاع هو المنتصف من الأرض الذي لا**

جبل فيه ولا فيه واد فشبه علوم من لم يأخذ علومه من الوحي وأعماله بسراب يراه المسافر في شدة الحر فيؤمه فيخيب ظنه ويجده ناراً تتلطى فهكذا عيون الباطل وأعمالهم إذا حشر الناس واشتد بهم العطش بدت لهم كالسراب فيحسبونه ماء وإذا أتوه وجدوا الله عنده فأخذتهم زبانية العذاب فعتلوه إلى نار الجحيم وسقوا ماء حميماً فقطع أمعائهم وذلك الماء الذي سقوه هو تلك العلوم التي لا تنفع والأعمال التي كانت لغير الله تعالى سيرها الله تعالى حميماً وسقاهم إياه كما أن طعامهم من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وهو تلك العلوم والأعمال الباطلة التي كانت في الدنيا كذلك لا تسمن ولا تغني من جوع وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيه في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً " وهم الذين نعتهم الله تعالى بقوله " وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعل هباء منثوراً " وهم الذين نعت الله تعالى بهم "كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ")).

تعمل تعمل تعمل ثم ثم يكون عملك حسرات ، هذا الصنف الأول .

قال : ((**القسم الثاني أصحاب الواد وهم المنغمسون في الجحيم بحيث قد أحاط بهم من كل وجه فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلاً ، فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة بل بمجرد التقليد واتباع الأباء من غير نور من الله تعالى فظلمات ظلمات جمعوها وهي ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة الظلم واتباع الهوى وظلم الشرك والغي وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالى به رسوله صلوات الله وسلامه عليه والنور الذي**

أنزله معه ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور فإن المعرض عما بعث الله به مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق يتقلب في خمس ظلمات ظلمات في خمس ظلمات قومه ظلمه وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى ظلمة وقلبه مظلم ووجهه مظلم وكلامه مظلم وحاله مظلم وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم من النور جد في الهرب منه)).

بعض الناس له لما تقول له شيل يدك من الكهرباء له بصيرة خفاشية، خفاشية ما تتحمل النور تتكهرب وبعض الناس .

يقول : ((**إذا قامت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم من النور جد في الهرب منه وكاد نوره يخطف بصره فهرب إلى ظلمات الآراء التي هي أنسب وأولى فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ومحاسبة الأبدان جال وصال وأبدى وأعاد وقعقع وفرقع فإذا طلع نور الوحي فإذا طلع نور الوحي وشمس الرسالة انجحر في أجحرت الحشرات**)).

ليس له إلا مع زبالة الأفكار.

وقوله تعالى: ((**في بحر**)) **اللجي العميق المنسوب إلى لجية البحر وهو معظم وقوله يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب تصوير لحال هذا المعرض عن وحيه فشبه طلاقه بأمواج الشبه والباطل في صدره بطلاق الأمواج ذاك البحر وأنها أمواج البرق وفوقها برق والضمير الأول في قوله يغشاه راجع إلى البحر والضمير الثاني من فوقه عاد إلى الموج ثم إن تلك الأمواج مغشاة بسحاب فها هنا ظلمات ظلمة البحر اللجي وظلمة الموج الذي**

فوقه موج وظلمة السحاب الذي فوق ذلك كله إذا أخرج من في هذا البحر يده لم يكد يراها وقوله لم يكد يراها)).

إما أن يدل على أنه لا يقارب رؤيتها من شدة الظلم وهو الأظهر لا يقارب يرى خيال لا يقارب ولا يقارب رواه .

فالمثل بليغ والمثل عجيب وأسأل الله عز وجل أن يكون حظنا منه النور وأن يجعلنا على نور وأن يبعد عنا العناد وأن يجعلنا ممن ينقادوا إلى الحق وينصاعوا إليه ، فإذا وجدت يا عبد الله الحق يلمع بنوره وبيناته وأدلته فامتثل له وإياك أن تبقى عنيداً أن تبقى معانداً مخالفاً للنور الذي ترى.

هذا والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد.